

إطار الدرس

يعتبر مفهوم اللغة من بين أهم المفاهيم التي إنشغلت بها الفلسفة المعاصرة واللسانيات وكذلك بعض العلوم الإنسانية مثل علم النفس اللغوي وعلم الاجتماع، وهكذا فإن مقاربتنا لهذا المفهوم ستخضع لمقاربة فلسفية وأخرى علمية.

من الدلالات إلى الإشكالية

الدلالة العامة

في هذه الدلالة ترتبط اللغة بالكلام إذ يقول عامة الناس فلان يتكلم اللغة العربية أو الفرنسية... إذا تمعنا في هذا التعريف لن نستطيع التمييز بين اللغة والكلام. فهل اللغة هي الكلام، أم تتجاوزه إلى أشياء أخرى؟ هذا ما سنعرفه من خلال دالتين اللغوية والفلسفية.

الدلالة اللغوية

يقول ابن منصور عن اللغة "أصوات يعبر بها قوم عن أغراضه"، لنحلل هذا التعريف:

يحصر هذا التعريف اللغة في الأصوات وهذا يعين أن الأصوات كلام، الشيء الذي يجعل ابن منصور لا يخرج عن الدلالة العامة التي تربط اللغة بالكلام. إن إعتبار اللغة أصوات يجعلنا نطرح تساؤلين: كيف يتواصل الحدويك إذا إختزلنا اللغة في الكلام والصوت؟ بمعنى آخر هل الأصوات هي الوسيلة الوحيدة للتواصل والتعبير؟ (الحيوانات لها أصوات، فهل معنى هذا أن لها لغة؟)، نضيف إلى هذه الاستنتاجات خلاصة أخرى ترتبط بالوظيفة النجيرية للغة، الشيء الذي يدفعنا إلى طرح التساؤل التالي: أليست هناك وظائف أخرى للغة غير التعبير كمثل الإخفاء - الكذب...؟

يجعل التعريف السالف الذكر اللغة مرتبطة بقوم معين الشيء الذي يدفع إلى التساؤل إن كانت هناك لغة كونية؟

الدلالة الفلسفية

كل هذه الأمثلة السابقة تبين بوضوح المغالطات والتناقضات التي تقع فيها الدلالة اللغوية، مما يفرض علينا الأنتقال إلى الدلالة الفلسفية. يقول لا لونك أن لغة معنيان، معنى خاص ومعنى عام. معنى خاص: وظيفة التعبير الكلامي عن الفكر داخليا وخارجيا. معنى عام: ذلك وكل نسق من العلامات يمكن أن يتخذ وسيلة للتواصل".

إستنتاج

نستنتج من هذا التعريف أن اللغة بالمعنى الخاص تتقابل مع الكلام واللسان، باعتبار الكلام نوعا من اللغة وليس كلها واللسان خاص بمجتمع معين، أما اللغة فهي مشتركة بين البشر.

من خلال هذه الاستنتاجات يمكن إستخلاص الإشكالية الفلسفية لدرس اللغة، نحملها على الشكل التالي: إذا كانت اللغة حسب لا ند تعبر عن الفكر أفلا يمكن أن نقول العكس، أنها تؤدي إلى الأخطاء والكذب أكثر من الكشف والتعبير؟ ثم ماهي علاقتها بالفكر والأشياء (الواقع)؟ وإذا كانت اللغة علامات صوتية والحيوانات لها أصوات، فهل معنى ذلك أنها تشترك مع الانسان في إمتلاك اللغة؟ أم أن اللغة تبقى خاصة إنسانية؟ ما طبيعة العلامة والرمز اللسانيات وما علاقتها بالمعنى والدلالة؟ هل اللغة تعبر عن الواقع أم عن الفكر؟ وهل يمكن تصور فكر في إستقلال عن اللغة؟ كيف تؤدي اللغة وظيفة التواصل؟.

اللغة الانسانية واللغة الحيوانية: تحليل نص "الكلام خاصة للإنسان"

مقدمة

مثل هذا النص وجهة النظر العقلانية حول إشكالية اللغة الإنسانية والحيوانية، وقد إنطلق في هذا النص من التساؤل التالي: هل يمكن إعتبار اللغة قاسما مشتركا بين الانسان والحيوان ؟ بمعنى آخر هل الحيوان قادر عن الكلام كما هو الشأن بالنسبة للإنسان. وإذا كان الجواب بالنفي فما الذي يفسر قدرة الإنسان على الكلام. هل يرجع ذلك إلى العقل أم إلى الغريزة.

موقف ديكارت

لايخرج جواب ديكارت على هذه التساؤلات خارج إطار فلسفية العقلانية التي تجعل من العقل أساس تصوره إشكالية اللغة، وبناء عليه يؤكد ديكارت أن اللغة خاصية تقتصر على الإنسان ولا وجود للغة بهذا المعنى لدى الحيوان، ويفسر ديكارت ذلك، أي قدرة الانسان على الكلام بإملاكه العقل مهما كانت درجة هذا العقل من البساطة، حتى ولو كان هذا الإنسان يفتقر لجهاز النطق فإنه قادر على التعبير والتواصل كما هو حال الصم والبكم. أما ما تردده بعض الحيوانات مثل العققق والبغاء من كلام فيعتبره ديكارت مجرد إنفعالات غريزية وإستجابات آلية لا تعكس وعيه بما يقول، وبالتالي فإن اللغة خاصة بالإنسان دونه والحيوان.

وقد اعتمد ديكارت في دفاعه عن موقفه (أطروحته) هاته إعتقادا على منهجية إستدلالية أو حجاجية تنبني على المقارنة بين الإنسان والحيوان فيما يتعلق بإشكالية اللغة، وقد قدم في هذا الإطار مجموعة من الأمثلة المدعمة والموضحة لأطروحته (كالصم والبكم والعققق والبغاء)، كما وظف الروابط المنطقية (هما - حينين وبالعكس ولكنها - أي في حين) والهدف من كل هذا هو الوصول إلى الخلاصة التالية وهي أن الكلام خاصية إنسانية فقط نظرا لإملاك الانسان للعقل.

الموقف اللساني

يؤثر هذا التصور الفلسفي نتائج الدراسات اللسانية المعاصرة، إذ يؤكد بناء على دراسات العالم الألماني لأشكال التواصل لدى النحل حدد فيها ثلاث خصائص للغة الإنسانية وهي :

- الإرتكاز على الصوت.
 - تحرر العلامة أو الرمز من الموضوع الخارجي.
 - قابلية الكلام البشري للتفكيك إلى وحدات لغوية وصوتية دالة وأخرى غير دالة قابلة للتأليف وإعادة التأليف إلى مالا نهاية.
- وبناء على هذه الخاصية الثالثة تستخلص خاصية رابعة هي التمثيل المزدوج، ولتوضيح هذه الخاصية يميز نوعين من الوحدات اللغوية:

- الشوينقان: وهي وحدات لغوية دالة تقبل التجزئة إلى وحدات أصغر غير دالة وهي ما يسمى بالكلمات (كوثر).
 - الفويمات: وهي وحدات صوتية غير دالة لاتقبل التجزئة مثل الحروف ويتمثل التمثيل المزدوج في المثال التالي، ستذهب كوثر.
1. المفصل الأول : وهو الذي يكون بين المونيمات والكلمات، وحينما نغير موقع الكلمة أو حذفها ونستبدلها بأخرى بتغيير كلمة المعنى وهذا ما يسمى بالتأليف وإعادة التأليف بين المونيمات لإنتاج دلالات جديدة : س + قد + ذهب + كوثر. نحذف ذهب ونستبدلها بكلمة أتى.
2. المنفصل الثاني : وهو الذي يكون بين الحروف أو الفونسيان حيث إذا غيرنا مواقعنا داخل الكلمة (المونيمة) أو إذا إستبدلناها بأخرى فتعطي معنى جديد مثل : كل ملك - لك.

خلاصة

هكذا يكون بمقدور الانسان أن ينتج مالا نهاية من العبارات والكلمات ومن تم من الدلالات والمعاني من عدد محدود من الوحدات اللغوية البسيطة، هذا ويعتبر أن العلامة والزمن نتاج للنشاط العقلي للإنسان حيث يتخذها وسائط رمزية تمثيلية تربط بشكل غير مباشر بين الفكر والواقع. وتمكن الانسان من التحرر من سلطة الواقع المادي بواسطة ذلك النظام الرمزي الذي يتشكل من: علوم - فلسفات - بيانات - فنون - أساطير... وهكذا يكون الانسان عبارة عن حيوان رازم لا يدرك الواقع ولا يتواصل مع الآخرين إلا من خلال أنساق رمزية. وكلما تقدم هذا النسق الرمزي إلا وتوارى الواقع إلى الورا ليعيش الانسان وجها لوجه أمام الفكر كبعد آخر من أبعاد الواقع حيث يجد نفسه أمام نظام رمزي لا يحيل مباشرة على الواقع الخارجي، وانما يحيل على تصور أو فكرة. ذلك أن الأفكار هي العمل الطبيعية للأشياء، أما العلامات والرموز اللسانية فهي علامات للأفكار، فكيف تنشأ الدلالة والمعنى ؟ كيف تنشأ الدلالة والرمز اللسانيات ؟ وماعلاقتها بالأشياء والموضوعات.

يمثل النص الذي بين أيدينا وجهة النظر العقلانية الجدلية حول إشكالية العلامة والرمز اللسانيات فما هي العلامة وما هو الرمز ؟ وما هو الفرق بينهما ؟ وما هي علاقتها بالأشياء والفكر ؟ .

عرض

يعطي هيكل في هذا النص معنيان للعلامة، معنى عام حيث يكون للرمز والعلامة لنفس المعنى، ومعنى خاص حيث يكون لهما معنيان متناقضان. وهكذا يعتبر هيكل أن العلاقة بين الدال والمدلول في العلامة الخاصة هي علاقة إعتباطية، نتيجة المواضع والاتفاق، فالعلاقة هنا غريبة وعرضية إذ ليس هناك أي قاسم مشترك بين الدال والمدلول اللهم ما إصطلح عليه الناس. لكن في المقابل نجد أن العلاقة بين الدال والمدلول في العلامة الخاصة التي تكون الرمز هي علاقة طبيعية فهي ليست علامة إعتباطية ولا محايدة، بل إنهما يشتركان في بعض الخصائص مع أنهما يختلفان في أخرى، فتطابقهما ليس كاملا ولا تاما بل هو تطابق جزئي والا لما كان الرمز رمزا.

وقد قسم هيكل نصه هذا إلى قسمين (فقرتين) تبدأ الفقرة الأولى من بداية النص الأمة مثلا، حاول من خلالها أن يحلل إشكالية العلامة، أما الفقرة الثانية فتبدأ من الأمر مختلف إلى نهاية النص تطرق فيها إلى إشكالية الرمز.

وقد دافع عن موقفه من العلامة والرمز اعتمادا على أسلوب التمثيل حيث قدم مجموعة من الأمثلة الملموسة كالألوان التي تدل على أمة من الأمم أما في الرمز فقد قدم مثال الأسد والثعلب والدائرة موظفا في هذا الإطار أسلوب المقارنة والتقابل بين العلامة من جهة والرمز من جهة أخرى، مستعملا مجموعة من الروابط المنطقية مثل : غير - بين - إنما - هكذا - ذلك... كما إستعمل أسلوب النفي لايتلان والاستثناء ولكن.. بل والتأكيد إن وكذلك الاستنتاج وهكذا... وهكذا تنتهي مع هيكل إلى أن العلامة إعتباطية بينما الرمز علامة طبيعية.

لكن هل يمكن إعتبار جميع العلامات ذات بعد إعتباطي متفق عليه ؟ ألا نجد بعض العلامات تحاكي الطبيعية مثل كلمة دقيق - حرير - نافذة... ؟ .

في مقابل أطروحة هيكل حول العلامة يعتبر أفلاطون العلاقة بين الدال والمدلول طبيعية وليست إعتباطية إذ يرى أن لكل شيء علامة أو إسما منسوباً إليه بصورة طبيعية وأن هذا الإسم ليس مصدره الانفاق ولكن الطبيعة هي التي منحت للأسماء معانيها، وأن كل شيء يأخذ إسمه من الطبيعة من خلال المحاكاة وتقليدها، وأن المشرع الذي يستطيع محاكاة الطبيعة هو المؤهل في نظر هيكل لتجزئ الصورة في الحروف والمقاطع اللسانية. وهكذا فإن الكلمات والأسماء تحاكي أصوات الطبيعة مثل حرير المياه، لفيف الأشجار.

خاتمة

في هذا النص نرى أن هناك علاقة تعاضدية بين هيكل وأفلاطون في إعطاء مفهوم العلامة والرمز فكل حسب ما يراه، فهيكلي يرى أن العلامة لا ترتبط بالطبيعة عكس أفلاطون الذي يراها محاكاة للطبيعة.

اللغة - الفكر - التواصل - السلطة

تمهيد

من تطرق في هذا المحور إلى دراسة طبيعة العلاقة بين اللغة والفكر من جهة والسلطة من جهة ثانية، ثم وظائف اللغة، فإذا علمنا أن لكل من اللغة والفكر طبيعتان متناقضتان فكيف يمكن الحديث عن العلاقة بينهما ؟ بمعنى آخر ماهي طبيعة العلاقة بين اللغة والفكر ؟ هل هما منفصلان أم متصلان ؟ هل الفكر سابق عن اللغة أم مستقل عنها ؟ أم أنها أساسا الفكر ومننتجة ؟

الأطروحة الميتافيزيقية

تقول بأسبقية الفكر عن اللغة واستقلاله عنها ويتبناها كل من أفلاطون - ديكرت - برجسون.

موقف أفلاطون

إذا كانت المعرفة حسب أفلاطون تذكر والجهل نسيان، فإن الأفكار تكون موجودة في أعماق النفس ينبغي فقط تذكرها بواسطة التأمل العقلي، وعليه فاللغة حسب أفلاطون لاتصنع الفكر لأنه سابق في وجوده عليها وما ينبغي القيام به هو تذكر من أجل معرفته، فالفكر هنا صورة توجد في عالم المثل أما اللغة فهي في العالم نفسه عالم الحلال والأوهام.

موقف ديكارت

إنطلاقاً من "أنا أفكر إذا أنا موجود" يعتبر ديكارت الفكر جوهر روحي مستقل خاصيته الوحيدة هي التفكير أما اللغة بإعتبارها أصوات فهي جوهر ممتد، ومن تم فاللغة والفكر حسب ديكارت من طبيعتين متناقضتين هو روحي وهي مادية وبالتالي فالفكر مستقل عن اللغة و منفصل عنها.

موقف هنري برجسون

يرى برجسون أن لغة العقل التي تقوم علم التقسيم والتجزئ والقياس والتكمين تبقى عاجزة عن التعبير عن الفكر وادراك الأيمومة النفسية التي لانفرداها إلا بالحدس، خصوصاً ما يتعلق بالتجارب الروحية والاشراقات الصوفية حيث تبدو هذه التجارب أغنى وأوسع من اللغة العادية التي رغم أنها مكنت الانسان من السيطرة على الطبيعة وتحريره من سلطة الأشياء فإنها تبقى في نطاق التجارب السطحية في حالات الوعي والشعور.

الأطروحة العلمية (اللسانية)

على عكس التصور التقريبي لعلاقة اللغة بالفكر يعتبر هذا الفيلسوف أن الفكر بدون لغة ليس سوف كتلة عديمة الشكل غير متميزة لا فواحل فيها ولا وحدات، إنه ليس سوى غماء وشديد ليس فيه شيء محدد، وهو مضطر لكي يزول عن عمائه إلى الاستعانة باللغة من أجل التمييز بين فكرتين ومعنيين بصورة واضحة، فاللغة هي التي تضع تقسيمات وتفصل بين الوحدات لكي تتضح الأفكار وتتمايز، وهكذا ليس هناك فكر سابق عن اللغة ومنفصل عنها. ومن أجل البرهنة على هذه الأطروحة قدم هذا الفيلسوف مجموعة من الأمثلة وقد شبهها بنسمة ربح هبت على صهريج ماء فادت إلى جعل سطح الماء ينقسم إلى تقسيمات وتموجات، فهذه التموجات هي التي تعطينا فكرة عن علاقة اللغة بالفكر، كما قدم مثالا آخر شبه فيه علاقة اللغة بالفكر بوجهي الورقة النقدية، فالوجه هو الفكر والمظهر هو اللغة، ولا يمكن أن نحدث قطعاً في وجه الورقة دون أن نقطع ظهرها في نفس الوقت. وهكذا لايمكن تصور فكر بمجزل عن اللغة بل هما متداخلات كل منهما محتوى الآخر.

تحليل نص "الفكر والكلام"

مقدمة

نعتبر النص الذي بين أيدينا أحد النماذج الفلسفية، التي تحاول التفكير في إشكالية اللغة والفكر وطبيعة العلاقة التي تجمعهما، من الناحية الفينومونولوجية، وبناء عليه يمكن طرح الإشكالية التالية :

- ماهي طبيعة العلاقة بين الكلام والفكر ؟
- هل يمكن أن يكون الكلام مجرد علامة للفكر ؟
- هل يمكن أن نقبل أن تكون علاقة الكلام بالفكر علاقة انفصال ؟
- ألا يمكن على العكس من ذلك أن يكون الكلام هو جسد الفكر وحضوره ؟

التحليل

يؤكد ميرلوبونين في هذا النص أن علاقة اللغة بالفكر لا يمكن أن تكون إلا علاقة إتصال واحتواء متبادل لأنها يتكونان في آن واحد، وهكذا فهو يرفض الموقف الكلاسيكي لعلاقة اللغة بالفكر، والذي يجعل الكلام مجرد علامة منفصلة عن ما تدل عليه. بمعنى آخر ينبغي ميرلوبونتي أن يكون الكلام مجرد لباس أو غلاف للفكر لأن الكلام هو جسد الفكر وشعاره، فما يجعل الفكر يحصر إلى العالم الخارجي هذا الكلام إذ لا وجود لفكر خارج الكلمات والعلامات. وحتى التفكير الصامت الذي قد يوحي بانفصال اللغة عن الفكر في نظره كلام مهموس وبالتالي فالفكر ليس داخليا والكلام ليس شيئاً خارجياً بل إنهما مظهران لوحدة اللغة مع الفكر.

وقد إتخذ النص أسلوبا حجاجيا سجاليا بين موقفين متعارضين الأول يمثل التيار الكلاسيكي وهو الذي استهل به نصه ثم يتلوه مباشرة بموقفه الخاص مستعملا في ذلك مجموعة من الآليات الحجاجية، تعتمد بالخصوص على النفي (أليس - فلا - لا يحتل) أو الاستثناء (إلا) في محاولة لنفي الموقف الكلاسيكي. ثم تعتمد على آلية التأكيد للدفاع عن موقفه الخاص (إن - لابدء بل - خيران... كما إستعمل المنطق الشرطي دون أن ينسى توظيف تقنية نفسه (الصمت صحيح الكلام) الاستبطان لملاحظة التفكير الصامت الذي يبدو أنه تفكير لا يخلو من كلام ولو أن هذا الكلام غير مسموع. وفي هذا الإطار يمكن إستحضار تصور اللسانيات المعاصرة ممثلة في رائدها دي سوسي الذي يشبه علاقة اللغة بالفكر بوجهي الورقة النقدية... أو يشبه علاقة اللغة بالفكر بعلاقة الرياح بسطح الماء.

هذه الأمثلة تؤكد على إتحاد اللغة بالفكر بحيث لايمكن تصور فكر بدون لغة. لكن ألا نجد في بعض الأحيان أن اللغة عاجزة عن التعبير عن الفكر؟ أليست الطبيعة متناقضة لكل من الكلام والفكر سببا في إنفصالهما؟ .

المناقشة

نجيب عن السؤال الأول : يؤكد برجسون (للرجوع إلى الدرس) بينما يذهب ديكرت في نفس إتجاه برجسون بناء على تناقض خصائص كل من اللغة والفكر....

اللغة والتواصل

تمهيد

إذا كانت اللغة أداة للتعبير عن الفكر فهي أيضا عنصر للتواصل الاجتماعي، فلا مجتمع بدون لغة، كما أنه ليس هناك مجتمع بدون تواصل، فكيف يتحقق هذا التواصل؟ هل في إطار من الوضوح والشفافية؟ أم أن عملية التواصل هي عملية غير بريئة يشوبها الكذب والاختفاء؟

أطروحة رومان جاكوبسون

تعتبر اللغة في النظرية التواصلية لجاكوبسون أداة تبليغ للمعرفة والأفكار والمشاعر والمعلومات في إطار من الوضوح والشفافية بشرط توفر العناصر التالية:

- السياق
- المرسل
- الرسالة
- المرسل إليه

لكن هذه الوظيفة التواصلية للغة باعتبارها علاقة نقل خبر أو معلومات وأن هذه المعلومات هي بالتعريف تظهر على نحو صريح مكشوف أمام المتلقي قد أضحت موضع تساؤل من طرف اللسانيين أنفسهم، فهل تكون اللغة أداة شفافة وبريئة تمكن من نقل الأخبار بهذا الوضوح والشفافية؟ ألا يمكن أن نقول العكس، أن اللغة أداة إخفاء وكتمان وكذب؟

أطروحة ديكرت

يرى ديكرت أن العلاقات بين الذات لا ترتد إلى التواصل بمعناه الضيق، وإنما تندرج تحت طائلة من العلاقات البشرية لا يصبح فيها اللسان أداة تواصل فقط، وإنما إطار مؤسسا تقوم عليه تلك العلاقات، لا يصبح اللسان شرطا للحياة الاجتماعية فقط وإنما بمطالها، يحقد معها براءته، وشفافيته، هذا ما تؤكده التجربة اليومية، ذلك أن اللغة ليست وسيطا نزيها وشفافا بين الدوان المتخاطبة بل كثيرا ما تنقلب إلى آلية للإخفاء والكتمان، أو التظاهر بالإخفاء بواسطة آلية

الاخصار، تتحول معها اللغة إلى قواعد لعب يومي لا بالمعنى السطحي للكلمة وإنما كاستراتيجية تعتمد الحساب والتقدير المسبقين للنتائج، لا يتحمل معها المتكلم مسؤولية النطاق بها. تعود ضرورة الاخصار هذه في العلاقات الاجتماعية إلى مجموعة من المحرمات اللغوية والدينية والاجتماعية والثقافية والى عوامل نفسية لاشعورية أو شعورية، ولاتقف هذه الإكراهات عند هذا الحد بل هناك إكراهات والزمامت أخرى تفرض سلطتها على المتكلم تسمى بالإكراهات اللسانية، فما هي هذه الإكراهات؟ وكيف تفرض اللغة تسييرتها على المتكلم؟ .

يرى رولان بارت أن كل إنسان هو عبارة عن تصنيف قمتي يتحدد بالالزام والاكراه والارغام أكثر مما يتحدد بالمستحسن والمباح، وهكذا فالمتكلم ملزم باحترام قواعد معينة، ملزم باستعمال إما المذكر أو المؤنث، ملزم بتمييز ذاته عن الغير باستعمال ضمير المخاطب أنت أو أنتم، وهكذا فالفرد لا يتكلم حسب إرادته ولكن سبقا لما تريده وتحدده القوانين اللسانية، لذلك تتجاوز اللغة في نظر رولان بارت وظيفة التبليغ والتواصل لتصبح أداة للسلطة والايضاح والارغام، وعليه يعتقد رولان بارت أنه ما أن ينطق الانسان حتى ينخرط في خدمة سلطة معينة، التي تجبر الأفراد على إنتاج خطابات تبعا لقواعد محددة سلفا.

وهكذا يميز رولان بارت بين نمطين من السلطة في اللغة، تجعل المتكلم سيدا وعبدا في نفس الوقت، سيد من حيث الطابع الالكاتي التوكيلي للغة الذي تجعله ينصت ما يقوله. وعبدا من حيث الطابع القطيعي للتكرار. هكذا نخلص مع رولان بارت أن لا حرية إلا خارج اللغة، وبما أن اللغة لا خارج لها فلا محيل لنا عنها إلا عن طريق المستحيل.